احـــــــــراق مـــكـــتـــبـــات بـغـــــــداد

نـــشـيـــد قـيـــامـــة شـــارع المـتـنـبـي

عيسى حسن الياسري
مـــونـــتـــريـــال

١

من الدخان المتصاعد من قمصان الكتب
من الآجر الذي ارتدى الحداد
من رائحة ريش الطيور المحترق
من الاغنية التي احتضنت جدرانك المتداعية
من كل هذا الموت والخراب والدخان
تطلع شمسك - ياشارع المتنبي -

٢

وأنت تجلس في قاع محرقتك
ياشارع المتنبي
خمسة الاف عام من حقول الكلمات تحترق
خمسة الاف عام من رفرفة اجنحة الاغاني تحترق
خمسة الاف عام من تنهدات المحبين تحترق
من تراتيل - دجلة - وهي تنثر أمواجها..
فوق شاطئك الاشقر
من تنهدات نواعير -الفرات-
خمسة الاف عام
من ابتسامات أطفال
من دموع أمهات
من حقول قمح
من عرق كادحين
من زقزقة عصافير
وهديل حمام
ونعيب اسراب -بط- في طريق هجراتها..
نحو الشمال البارد
كل هذا التهمته الحرائق التي التهمتك

٣

أيها المقاومون العشاق
أيها الصيادون الماهرون
أنتم يامن تصطادون بفخاخكم الشجاعة ..
الطاعون -الامريكي-
المجنزرات التي تقل كلاب الاحتلال
أنتم الذين تغادرون دفء الفراش
وحضن الزوجة
وزقزقة الطفل الاكثر عذوبة من غناء
الف عصفور
حيث تحملون مصائدكم
وانتم ترددون اغنية الوطن الجميل
فلماذا تغفلون عن قتلة أحلامنا الجميلة ؟

٤

إن أصابعي تحترق
فلتطلق ريح الجنوب أيها الربيع
دعها تجمع قطعان غيومك من قارات الارض
وكنداباتٍ موتانا الذين لاحصر لهم
أطلب منها أن تنوح وتبكي
فربما غسلت دموعها مراثي ..
عبد الزهرة زكي
وماجد موجد
واحمد عبد السادة
واحمد عبد الحسين
ويوسف المحمداوي
وحسن احمد راضي
واحمد المظفر
هؤلاء الشعراء المحبون
الذين طشوا بذار كلماتهم فوق رماد ..
- شارع المتنبي-

٥

لتجعل أمطارك من صندوق -جبار محيبس-
الشبيه بتابوت مهدا لطفل
لعبته غصن زيتون
ومظلته جناحا حمامة سلام
وان تمنح -سلمان داود محمد-
قميصا شبيها براية انتصار بدل
قميصه الذي احرقه حزنا امام هيكل ماساتنا
وأن يشعل شموع الميلاد بدل..
شموع المأتم
أما أنت -ياتوفيق التميمي-
ياصديقي الجميل
فستقف على قمة نصب قيامة -شارع المتنبي-
لتقدم شعراء -العراق-
وهم يقرأون قصائدهم أمام شجرته الربيعية .
وسيكون صوتك هذه المرة
اكثر ادهاشا من صوت ساقية
وأعذب من خطوة نسيم على ضفة نهار .

على قـــاعـــة الاتـحـــاد الـعـــام لـلادبـــاء والـكـتـــاب

كلمات ومراث واعتصام على خلفية كارثة تفجير شارع الثقافة العراقية

المـــدى الـثـقـــافي

أحيا عدد من الادباء والكتاب والفنانين والمثقفين، اصبوحة على خلفية جريمة العصر الثقافية التي استهدفت شارع الثقافة في العراق-شارع المتنبي -، قدم لها الناقد والشاعر علي الفواز وقد استهلها بالقول : اننا وبعد أن وقعت الكارثة، لانملك الا أن نمارس الاحتجاج، حيث لا نملك الا اياه، فنحن الكتاب والمثقفين والفنانين، لانعرف أي نوع من الاسلحة، سواء كانت بيضاء أو سوداء!، اننا نمارس الاحتجاج الحي، نحاول أن نتعلم أبجدية أخرى، أن نصنع موقفنا الخاص، أن نصنع سلوكا مغايرا للبربرية السائدة والجريمة التي تغتال الفكر والمعرفة والكتاب، بل تغتال منتجيها .

واكد الفواز: ما حدث لم يكن جريمة عادية، لم يكن تفجيرا عاديا، بل انه فوق ذلك اعتداء على التأريخ والذاكرة والمقدس، اعتداء على رموزنا وأسمائنا وذاكرتنا، فكلنا تخرجنا من هذه الاكاديمية التي اسمها (شارع المتنبي)، وكلنا جالس الاحبة من الادباء والكتاب والمثقفين والفنانين وحاورهم في مقهى (الشاهبندر)، وكلنا تحدث الى الشهيد عدنان وزملائنا الشهداء الاخرين من أصحاب مكتبات الرصيف أو غيرها .

ودعا الفواز المشاركين للوقوف دقيقة واحدة احتجاجا على كارثة المتنبي، ثم تساءل : ماذا كان سيحدث لو حلت اكارثة من هذا النوع في القاهرة او دمشق أو اية عاصمة عربية أخرى ؟ أين اليونسكو ؟ أين الجامعة العربية؟ ألم يكن هذا الشارع جزءا من الموروث الانساني ؟ أين الشعراء والمفكرون والادباء العرب وبخاصة الذين مروا على مكتبات المتنبي وساجلونا في مقهاه الثقافي (الشاهبندر)، أين هم مما جرى ؟

ثم تحدث رئيس الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق الناقد فاضل ثامر قائلا:لقد فعل الهولاكيون الجدد جريمتهم، فهم أعداء للفكر والمعرفة والثقافة، بل هم أعداء للحرية والسلام والحياة .

واكد فاضل : ان الثقافة العراقية والابداع العراقي، بكل تأكيد سينهضان من بين الركام ورماد الحرائق لكي يمارسا دورهما الريادي المعروف، لكننا في الوقت نفسه، نطالب المؤسسات ذات الصلة، المحلية منها أو العالمية، للوقوف معنا في محاربة أعداء الفكر والمعرفة، كما ندعو تلك الجهات الى الاسراع بتحويل هذا المكان بمكتباته ومقهاه الثقافي (الشاهبندر) وكذلك أبنيته التأريخية الى مركز ثقافي يضم، متحفا للكتاب، فضلا عن توثيق آثار الجريمة الفظيعة التي طالته .

وأوضح فاضل : ان مقهى (الشاهبندر)، كان ملتقى للكثير من الادباء والكتاب الذين قارعوا النظام الدكتاتوري السابق، فقد كانوا ينتقدون سياسته الشوفينية والقمعية، كما أنه - المقهى - شهد ولادات كثيرة لمبدعين عراقيين في الابداع الشعري وفنون السرد الاخرى .

في الحقيقة، لقد أرادوا من وراء جريمتهم النكراء، اغتيال الثقافة الوطنية، بل انهم أرادوا اغتيال وحدتنا، لقد عبرت هذه الجريمة عن الوجه الحقيقي للارهاب .

ثم قدم عدد من المشاركين كلمات عبروا من خلالها عن غضبهم واستنكارهم وتعازيهم لذوي الضحايا، فضلا عن بعض المطالب التي توجهوا بها للمؤسسات ذات العلاقة باعادة بناء ما دمرته أيادي الارهاب .

وقرأ عدد من الشعراء مراثي للمتنبي شاعرا وشارعا، فقد قرأ محمود النمر قصيدة بعنوان (لاأسياف الا شعراء المتنبي) جاء فيها :

ان الشوارع .....
لم تكن حمراء أو سوداء
فانتبذت لها لونين
حتى يستبيح الموت لونك
هل غادر الشعراء منك ....؟!
فأمطروك بوابل
أم يحسيونك مناصفا بالوهم
بعد توهم
يا أيها الشيخ الذي نسي الفصول
وشاخ بين المعرفة
مازادهم فزعا سواك
فانت في حقل من الزيتون
أطلق عاصفة.....

وفي قصيدة بعنوان (المتنبي) لمروان عادل قرأ فيها : في الصفحة الرابعة من الفصل الثالث

من كتابنا المتعرض للنيران
حيث وصلت الرطوبة السوداء
سطورها العليا
تجمع اطفائيو ثقافتنا المنكوبون
بصنابير يابسة
نسعل قصائد طللية
على أنقاض وادي عبقرنا الاشيب
المكتض
بأبداعاتنا المختنقة
ويوجوه ملطخة بسواد أرضهم القديمة
لوحت أياديهم القصيرة ببياضاتهم المسودة
...

وبعنوان (الشموع الموؤودة) لاحمد البياتي، قرا فيها :

ذلك الطريق الرمزي يزداد شحوبة
والصخب يطلق تصريحاته
الواح الخنادق تخاطب مشاعر الحالم
أفصح عن رأيك، لاتبد ظاهريا
الليل المنعزل في حالنا الراهن
بشعل اكليل الشعراء فوق الجمر
والعبارات الفاتنة تحلم بالمستقبل
مطعونة وتميل نحو الرأفة الخاطفة
ريبة الفؤاد في اللقاء الغريب ...
واختيار هادي الناصر مقطعين جاء فيهما :

استهدفوا
كل يافطة
وما تشتهون
ولكن
تلك قامة
هو المتنبي
ستنهزمون حتما
.....
الله يا وطني
كم تريد منا
حتى تصدق
اننا نهواك..؟

وبعد اختتام الاصبوحة، اعلن المشاركون اعتصامهم لمدة نصف ساعة في مبنى الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق، احتجاجا على جريمة العصر الثقافية واستنكارا للوجه البشع للجريمة، التي أودت بحياة شارع الثقافة العراقي .... شارع المتنبي .

خـــارج المـــدى

أعـــداء الـثـقـــافـــة

كـــاظـم الـــواســـطي

هذه المرة ، كانت الكتب والمكتبات في شارع المتنبي.. شارع الثقافة العراقية .. ومعلم بغداد الأجمل ، هـــدفـــا لجـنـــون الإرهـــاب اللامحدود . ولكن لا غرابة في فعل من ارتكب هـذه المجـزرة الكبرى بحق الثقافة العراقية . فهم ذات البرابرة الذين يرتكبون كل يوم ما هو شنيع بلا حدود بحق العراقيين الابرياء . وهم أنفسهم ، الذين أستهدفوا ، قبل الكتب والمكتبات ، الكتاب والعلماء والمثقفين برصاصات غادرة دائما ما تختار الرأس مركزا للتصويب الأفضل ! فهناك يوجد ما يخشونه أكثر من أي شيء آخر . وإذ كان النازي الألماني يتحسس مسدسه عند سماعه كلمة " ثقافة " فأن أحفاده من الأعراب ، بعد أكثر من نصف قرن ، يجعلون من التحسس ذاك وابلا من الرصاص على رؤوس المثقفين ، وسيارات مفخخة تفجر الكتب والمكتبات . ولا تصح بعد هذا مقارنة مثل هؤلاء حتى بالنازية . لقد فجعنا هؤلاء البرابرة الجدد ، قبل تفجير سوق الكتب في المتنبي ، باغتيال الكاتب العراقي قاسم عبد الأمير عجام وهو في طريقه لممارسة عمله الجديد مديرا لدار الشؤون الثقافية ، بعد زمن طويل من العزلة والحصار اللذين فرضتهما عليه مؤسسات الدكتاتورية البغيضة ، ليغتالوا بذلك حلمه الجميل ، الذي طال انتظاره ، في عمل قريب من إهتمامات روحه ، ينجز من خلاله بعضا من طموحات المثقفين العراقيين في تأسيس واقع ثقافي جديد على أنقاض ما خلفته الدكتاتورية من تشويهات بنيوية كبيرة في الثقافة العراقية . وكان أيضا ، الكاتب والإنسان الطيب القلب مؤيد سامي ، المعروف بحيائه وأدبه الجم . لقد إغتالته يد الإرهاب الآثمة برصاصات كانت طامعة برأسه ، وسقط مضرجا بالدماء أمام باب بيته في مدينة بهرز ، ليجعلوا منه مشهدا صباحيا داميا في عيون زوجته وأطفاله الثلاثة الصغار . هذا المثقف النبيل وصاحب أجمل وأغنى مكتبة في مدينة بعقوبة ، يعرفه شارع المتنبي جيدا أيام كان يعود منه مثقلا بالكتب الجديدة " المستنسخة " إلى مكتبته حيث ينتظره هناك الكثيرمن الأصدقاء ورواد المكتبة للأطلاع على كنوزه التي لايبخل بها عليهم ، رغم خطورة الوضع آنذاك . وهناك أخرون لا يسمح المجال لذكرهم تعرضوا إلى نفس المصير .

استهدفوا الكتاب والكتب وشارع الثقافة العراقية . لا غرابة في ذلك لمن يعرف من أي سلالة ينحدر قتلة الثقافة هؤلاء : إنهم بقايا المغول المتخفين بيننا ومهمتهم التاريخية الوحيدة القادرين على إنجازها ، بقوة ضمائرهم الميتة ، هي نشر الخراب على أرضنا بديلا عن نشر الثقافة التي هي عدوهم الأول . ومازال هولاكو رمزا أبويا لهم يحتفون اليوم بجريمته الكبرى في حرق الكتب ، وتدمير مكتبات بغداد .

إن من إعتادت يده ملامسة المعدن البارد المميت ، يتحسس كثيرا من ملمس الورق ودفء الحقيقة فيه . ولكي لا يكون هؤلاء البرابرة هدفا لضياء تلك الحقيقة ، وهو يكشف حجم الجرائم التي يرتكبونها بحق الأبرياء ومصالح الناس ومستقبل الشعب ، فأنهم يعملون على تحويل مصدر هذا الضياء إلى رماد . وكذا يفعلون برؤوس البشر ، تهشيما ونحرا ، خشية ما فيها من ذاكرة تحفظ وجوههم الإجرامية الشاحبة في أرشيف القتلة المطلوبين للعدالة .. وللشعب . وماينساه هؤلاء، هو أن عمر العدالة والشعب أطول من أعمارهم كأفراد وجماعات ضالة ، يحدد مصائرهم القانون عاجلا أم آجلا . وهم الذين سيتحولون إلى رماد في أنقاض التاريخ ، أما ضياء الحقيقة في الثقافة الإنسانية فسيبقى مشرقا مادام هنالك بشريتطلعون إلى السلام والحرية .

تـــرانـــيـــم ووثـــــائـــق عـــن بـــلاد الـــتـــفـــخـــيـــخ والحـــــــرائـــق

د. نادية غازي العزاوي

نصٌ بين حدّيْ المحنة والمفارقة

مع أولى الشرارات التي التهمت (المتحف) و (بناية القشلة) و (المكتبة الوطنية) و (مركز الفنون) و.....و.....

ومع أولى العجلات العسكرية التي انتهكت تراب بابل ونينوى وأور و.....و.....اختل التوازن الدقيق في الصراع الأزلي الأبدي بين لحظتي (الفعل) و (العبث)، أو (الوجود) و (العدم)، وحينها فقط سمع صوت شيء يتهاوى ويرتطم في اعماق (المؤرخ) كأنه شهقة الموت، دخل (المؤرخ) بعدها في طور الصمت الشامل الكامل.

- ١ -

ترنيمة :

❖ قال علي الورديّ : سيمتدّ زمن الحرائق حتى يأتي على الحرث والنسل.

❖ قال مصطفى جواد : في ازمنة الحرائق لا يملك العقلاء الا الصمت.

❖ قال حسين أمين : في أزمنة الهمج يطول الأنتظار والكظم.

❖ قال عباس العزاوي : في أزمنة الرعاع تنبعج (اللقى) المركونة في المتاحف وتسيل (المخطوطات) كساعات سلفادور دالي.

❖ قال جلال الحنفي : ما من اشارة على امكانية الكلام.

❖ قال كوركيس عواد : ما من أمارة على امكانية الكلام.

- ٢ -

كان (المؤرّخ) يخبر طلابه وهم يتجولون معه في اروقة (المدرسة المستنصرية) أنّ شيوخها وطلابها مازالوا أحياء منذ القرن الهجريّ السابع وأنهم يحضون بهم الساعة :

- أصغوا جيدا : انهم يتناظرون هنا، وينشدون القصائد هناك، ويملون دروس الفقه والبلاغة، ويتعالى ضجيجهم حين استلام الأرزاق والجرايات اليومية والشهرية.

- شموا معي رائحة الورق والمداد.

كان يقشّر أمامهم بطريقة ساحرة أغلفة الأزمنة والأمكنة ويزيح الطبقات الجيولوجية ليمروا من خلالها بيقظة من لا يدع زمام الحاضر يفلت من يده :

- أنظروا..... هاهنا (دار المسناة) : ((أنشأها الخليفة الناصر لدين الله لتكون دارا للعلم والعلماء، وهي التي سميت في العقود الأخيرة بالقصر العباسي ومازال قائما، والمدرسة العلائية المجاورة لها المنشأة في أخريات القرن السابع للهجرة، بيد أن وظيفة هذه القصور وغيرها تحولت بعد ظهور الميدان والقلعة الى وظيفة عسكرية بحتة حتى عدت جزءا من القلعة ذاتها وأصبحت مخازن للبارود والسلاح، وبعد انتقال مركز الثقل الاداري من القلعة الى السراي في القرن الثاني عشر الهجري جدد والي بغداد علي باشا بناء المدرسة العلائية القديم تجديدا شاملا وسميت بالمدرسة العلية نسبة اليه وهي التي حولها والي بغداد مدحت باشا سنة ١٨٦٩م الى مدرسة للصنائع ومطبعة لطبع جريدة الزوراء، ثم نزل فيها الملك فيصل الأول فتحولت الى قصر ملكي ثم اضيفت اليها قاعة كبيرة فصارت مجلسا للأمة ثم مقرا للمحكمة العسكرية الخاصة سنة ١٩٥٨ فمتحفا عسكريا ثم شغلتها في سنة ١٩٩٥ دائرة بيت الحكمة)) (١).

(قال المذيع : جاءنا للتو الخبر العراقي الطازج : اندلعت اشتباكات ضارية بين قطعات من الجيش وبعض الميليشيات المسلحة في باب المعظم والميدان طوال صباح وظهر اليوم أسفرت عن قتل عشرين واحراق عدد من المواقع الأثرية والتجارية).

- ٣ -

كان المؤرخ يمنّي طلابه بمشاهدة كنز ثمين في الغرفة الصغيرة العليا من (متحف الرواد) قرب (دائرة البريد المركزي) في (شارع الرشيد) وحين ارتقوا معه السلالم كانت المفاجأة : تخطيطات أولية بقلم الرصاص لجواد سليم، هي بعض أغراضه الشخصية التي أهدتها زوجته الأنجليزية -كما يفعل المتحضرون عادة -الى أهل وطنه لأنهم أولى بتراث ابنهم وأحق.

ترنيمة :

❖ قال الفراهيدي : سرقت تسعة آلاف لوحة من متحف الرواد.

❖ قال الحلاج : من يفعل بنا هذه الفظائع / الفضائح ؟

❖ قال الخطيب البغدادي : أغرابٌ أم أعراب أم أبناء ؟

❖ قال المتنبي : عيارون بؤساء بل شطّار أدهياء بل قطاع طرق محترفون من سلالة (فاتك) يستبيحون الدم والعرض والجمال.

- ٤ -

في (زمن الكلام) تلا المؤرّخ على طلابه هذه المقاطع من رسالتي (ماسينيون) الى (الأب الكرملي) المؤرختين في ٢٨ / ٨ / ١٩٠٩، ١٩ / ١ / ١٩١١ :

((أمنياتي لك بعودة سعيدة الى بغداد (الحديقة الموهوبة) أو (الرب الموهوب)..... سلام من الله عليك ليغمرك أبدا وأنت في هذه البلاد دار السلام)).

((أشكرك على.....مؤلفك عن بغداد، لقد عثرت على اشياء كثيرة من بينها : عثرت على نقش مرجان العظيم وقد قدمته نقلا عن نسخة شكري أفندي في مؤلفه مساجد بغداد)) (٢).

- ٥ -

(قرأت المذيعة نشرة الأخبار الروتينية : استهدفت شاحنة مفخخة منطقة (الصدرية) في بغداد، فقتلت مئتين وجرحت مئتين واقتلعت عشر عمارات سكنية وأحدثت هوة عميقة في الشارع والضمير).

قال الطلاب : أخبرنا المؤرخ في (زمن الكلام) أن محلة الصدرية كانت ((تعد في العصر العباسي جزءا من محلة المأمونية ثم عرفت باسمها هذه نسبة الى دفينها الشيخ صدر الدين محمد بن محمد الهروي المدرس في المدرسة البشيرية والمتوفى سنة ٦٧٧هج..... بدلالة ماكتب على رخامة وجدت عند قبره، ويرد اسم هذه المحلة في سجلات المحكمة الشرعية منذ سنة ١٢٣٣ هج / ١٨١٧م)) (٣).

- ٦ -

في كتابه (السومريون : تاريخهم، حضارتهم، خصائصهم) يقص (صموئيل كريمر) قصة نشأة (مديرية الآثار العراقية) وكيف باغتت العالم خلال انقطاع البعثات التنقيبية الأجنبية في الحرب العالمية الثانية بالكشوفات الباهرة على يد (فؤاد سفر) و (طه باقر)، ويختم قصة الكفاح العراقي بأمل العالم الواثق بـ (الحق) و(الخير) : ((أن مستقبل التنقيبات السومرية يقع الآن بأيدي العراقيين أنفسهم وهناك سبب وجيه للأمل بأن العلماء والمنقبين العراقيين لن يهملوا أسلافهم من الماضي البعيد الذين فعلوا الكثير لا للعراق فحسب ولكن للأنسان في أنحاء العالم كافة)) (٤).

(في خبر صغير في الشريط أسفل الشاشة : هاجم ليلا أربعون مسلحا متحف الخرائط الأثرية في محافظة (الناصرية) واضرموا النيران فيه).

ترنيمة :

❖ قال الطبري : لا أمل في استعادة الكلام.

❖ قال ابن الأثير : لا جدوى من الكلام.

❖ قال الطغرائي :

ويا خبيرا على الأسرار مطلعا
اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

❖ قال ابن الفوطي : الصمت احتجاج مريح

- ٧ -

شوهد المؤرخ بين جمع من الناس يرفعون أنقاض (المكتبة العصرية) و (مكتبة عدنان) و (مكتبة النهضة) و (مكتبة المثنى) ويلمون البقايا المهشمة لنوافذ وأبواب (مقهى الشابندر).